

إشكالية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية في الوطن العربي

د. عرابجي إيمان، جامعة المدية

الملخص :

يمثل البحث العلمي يمثل عصاره الدول التي تنشأ البناء، وتبحث عن سعادة مجتمعا، ودونه لا تستطيع أي دولة مواصلة نشاطاتها وبرامجها العلمية والأكاديمية، ولا نغالي إذا قلنا إن البحث العلمي هو الصورة البهية للدولة، بل هو المستقبل الذي تبني عليه حياة البشر. إن معظم الدول العربية مازالت مستمرة في محاكاة نمط حياة قائم على استيراد المنتوجات التقنية على نطاق واسع دون امتلاك متطلبات التكنولوجيا ذاتها مما تمثله من مهارات ومعارف وممارسات فنية. فالمشكلة التي نعاني منها كما نعاني بقية الدول النامية هي الفجوة العلمية والتقنية التي تفصل بيننا وبين الدول المتقدمة، والأخطر من ذلك أن تلك الفجوة تزداد ولا تنقص مع مرور الزمن، ومع تعاضد التقدم العلمي والتكنولوجي في مختلف الميادين في البلدان المتقدمة صناعياً، مما يجعل عالمنا العربي في حاجة إلى مضاعفة السرعة للتقدم وللحاق بركب الحضارة العلمية.

تبدو الحاجة ملحة وماسة لإعادة الاعتبار لدور العلوم الإجتماعية في حل المشكلات التي تواجه الوطن العربي، بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية .

Résumé:

la recherche scientifique représente un pays de moderne . la recherche d'une société plus heureuse , et sans lui ne peut pas tout Etat de poursuivre ses activités , des programmes scientifiques et universitaires , ne pas exagérer si nous disons que la recherche scientifique est l'image état magnifique , il est un avenir qui construisent sur la vie des gens . La plupart des pays arabes est toujours en cours dans le modèle de simulation basé sur l'importation de produits techniques à grande échelle sans avoir les mêmes exigences en matière de technologie de la vie que l'une des compétences et des connaissances et pratiques professionnelles.

Le problème que nous vivons aussi souffrir le reste des pays en développement est l'écart scientifique et technique entre nous et les pays développés , et plus grave que cet écart augmente et ne diminue pas avec le passage du temps , et avec le progrès scientifique et technologique de plus en plus dans divers domaines dans les pays industrialisés , ce qui rend le monde arabe besoin de doubler la vitesse du progrès et de rattraper la civilisation scientifique .

La nécessité d'une action urgente et cherche désespérément un nouvel examen du rôle des sciences sociales dans la résolution des problèmes auxquels font face le monde arabe , avec toutes ses dimensions politiques, économiques , éducatives et culturelles.

القدمة :

يحتل البحث العلمي في الوقت الراهن مكانا بارزا في تقدم المجتمعات ، إلا أنه لا يزال البحث العلمي في الوطن العربي ، دون المستوى الذي تتمناه الشعوب العربية ، حيث يمثل البحث العلمي ركنا أساسيا في حياة الدول و جزءا هاما من وظائف المؤسسة الأكاديمية ألا و هي الجامعة " إذ بواسطته يتم وضع خطط التنمية على أسس سليمة و متينة ، و يتم تفادي الأخطاء و توفير الأموال و دفع الخسائر و تقصير الزمن و تحسين النوعية"¹ . والبحث العلمي ما هو إلا محاولة منظمة توجه لحل المشكلات الإنسانية في مجالات متعددة ، بحيث تقود الجامعات و مؤسسات البحث العلمي هذا الأمر المهم في حياة المجتمعات بهدف النهوض بها و دفع مسيرتها إلى الأمام ، و قد اولت العديد من جامعات العالم الغربي عناية خاصة للبحث العلمي و رصدت له الميزانيات و إستقطبت الكفاءات العلمية .

و قد كلن للحرب العالمية الأولى آثار كبيرة في الدفع بعجلة البحث العلمي إلى الأمام ، فأُنشئت في تلك الفترة هيئة للبحث العلمي و الصناعة في بريطانيا عام ١٩١١ ، كما أنشئ المجلس القومي للبحوث في أمريكا في عام ١٩١١ ، كما أظهرت نتائج الدراسات الإحصائية بان الإنتاجية العلمية (للوطن العربي) في مجال البحث العلمي متدنية ، حيث يقول التل في هذا الصدد " إن إنشغال الجامعات في الوطن العربي بصورة رئيسية بتدريس اعداد كبيرة تفوق طاقاتها البشرية و المادية تأثيرا سلبيا بالغا على القيام بدورها في تأدية وظائفها الأخرى في مجال البحث و التجديد و الإبداع ، فعدد البحوث القيمة على المستوى العالمي التي تصدر من جميع الجامعات العربية هو قليل جدا مقارنة بالدول الغربية"² .

فالعلوم الطبيعية هي تلك العلوم التي تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية ، و من هذه العلوم نجد الفيزياء ، الكيمياء ، و الجيولوجيا و الفلك ، أما العلوم الإجتماعية هي تلك العلوم أو فروع المعرفة التي تتجه نحو دراسة أصل و تاريخ الإنسان ، إذ تهتم العلوم الطبيعية بصفة مباشرة بالظواهر و الحداث الطبيعية بينما تهتم العلوم الإجتماعية بدراسة أنشطة و منجزات الإنسان .

إن العلوم الإجتماعية تعني بدراسة الإنسان من الناحية الإجتماعية ، و تدرس مظاهر الطبيعية بالنظر إلى علاقتها بهذا الإنسان .

و على هذا فإن الإنسان هو محور و صميم موضوع العلوم الإجتماعية ، بينما الظواهر و الأشياء موضوع العلوم الطبيعية . و منه فإن المنهج المطبق في العلوم الإجتماعية ، يختلف بعض الشئ عن ذلك المطبق في العلوم الطبيعية خاصة من حيث الدقة ، و ذلك بسبب الاختلاف في طبيعة المشاكل و الظواهر و بسبب الصعوبات و العقبات . و منه البحث العلمي هو الوسيلة التي يقوم بها الباحث في ميدان العلوم الإجتماعية بإتباع أدوات بحث معينة ووفق خطوات بحث معينة ، و ذلك من أجل الكشف عن الحقيقة العلمية بشأن المشكل محل الدراسة و التحليل .

نطرح هنا الإشكالية التالية :

ما هي إشكالية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية في الوطن العربي ؟

- الرئيس محمد نضال ، وجهة نظر حول دور البحث العلمي الجامعي في التنمية ،مجلة التعريب ، الأردن عدد ٣ ، ١٩٩٢^١

- التل سعيد ، قواعد التدريس الجامعي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٧ ، ص٥٣^٢

و للإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا الجاور التالية :

مجاور الدراسة :

- مفهوم البحث العلمي
- البحث العلمي في العلوم الإجتماعية
- صعوبات البحث العلمي في العلوم الإجتماعية
- إشكالية العلوم الإجتماعية في العالم العربي
- مستقبل العلوم الإجتماعية في الوطن العربي
- مشكلة البحث العلمي في الوطن العربي

أولا : مفهوم البحث العلمي

● تعريف البحث العلمي :

لجأ العديد من الباحثين إلى تقديم التعاريف حول البحث العلمي ، فكل واحد منهم قد نظر إلى الموضوع من زاويته الخاصة ، وحسب ميوله أو قناعاته العلمية ، و إذا حاولنا تحليل عبارة (البحث العلمي) فإننا نجد أنها مكونة من كلمتين هما (البحث recherche و العلمي scientifique) ، أما البحث فهو مصدر الفعل الماضي بحث ، و معناه فتش ، تقصى ، ح اول ، إكتشف ، أما العلمي ، فهو كلمة منسوبة إلى العلم يعني المعرفة و الدراية و إدراك الحقائق ، و إستنادا إلى هذا التحليل فإن البحث العلمي يعني : التقصي المنظم بإتباع أساليب مناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها و تعديلها أو إضافة الجديد لها .

و منه يمكن القول " أن البحث العلمي هو المحاولة الدقيقة للتوصل إلى حلول المشكلات التي يعيشها أفراد المجتمع ، الذي ينتهي إليه الباحث مع محاولة تحسين الوسائل التي تعالج بها هذه المشكلات مما يسهل على الفرد عملية التقدم في المجتمع ".³ و عليه فإن البحث العلمي هو سلوك إنساني منظم يهدف إلى إستقصاء صحة المعلومة أو فرضية ، أو توضيح لموقف أو ظاهرة و فهم أسبابها و أليات معالجتها أو إيجاد حل ناجح لمشكلة محددة أو سلوكية إجتماعية تهم الفرد و المجتمع . " إن البحث العلمي كلمة لها مدلول لغوي عام ، تعني طلب الشيء و إثارته و فحصه ، فهو عملية علمية تجمع لها الحقائق و الدراسات ، و تستوي فيها العناصر المادية و المعنوية حول موضوع معين و دقيق في مجال التخصص لفحصها و فق مناهج علمية مقررّة ، يكون للباحث منها موقف معين ليتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة ، هذه النتائج هي ثمرة البحث ".⁴

- جازية كيران ، محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٩^٣

- جامعة دمشق ، مديرية البحث العلمي ، دليل كتابة الأطروحة الجامعية (ماجستير ، دكتوراه) ، دمشق ، ٢٠١٢ ، ص ٠٧^٤

ومن خلال ما سبق يمكن القول ، ان الهدف الأساسي للبحث العلمي هو التحري عن حقيقة الأشياء و مكوناتها و أبعادها، ومساعدة الأفراد و المؤسسات على معرفة محتوى و مضمون الظواهر التي تمثل أهمية لديهم أو لديها ، مما يساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية و الإقتصادية و السياسية الأكثر إلحاحا و ذلك بإستخدام الأساليب العلمية و المنطقية .

ثانيا : البحث العلمي في العلوم الاجتماعية

• صعوبات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية :

تتلخص صعوبات البحث العلمي في جملة من العوائق و المشاكل تتلخص فيمايلي :

- ١ - تعقيدات الظواهر الاجتماعية و الإنسانية و تغييرها : " من المسلم به أن الظواهر الإنسانية و الاجتماعية غير ثابتة و مستقرة مادامت تتصل بالإنسان " .^٥ كون هذا الأخير أحواله تتغير من حالة لأخرى و من زمان لأخر ، و كذلك المكان الذي يعيش فيه لذلك من المنطقي أن تتعد هذه الظواهر مادامت غير مستقرة على حال ، كما أن تشابها سوف يؤدي إلى صعوبة تحديد الموقف من هذه الظواهر و الحكم عليها ، مما يضيف في الكثير من الأحيان إلى نتائج جد سلبية لا يمكن الإعتماد عليها في تصنيف الظواهر و ضبطها ، لا سيما أنها تتأثر بالسلوك الإنساني المعقد . كما أن الظواهر الاجتماعية تتغير بشكل سريع نسبيا ، فالثبات نسبي و هذا يقلل من فرصة تكرار التجربة في ظروف مماثلة تماما ، بالرغم أننا نستطيع أن نصدر بعض التعميمات عن الحياة الاجتماعية و السلوك الإنساني ، فإن الظواهر لها شخصيتها المنفردة و غير المتكررة . إذ يمكن القول أن " تعقيد الظواهر الإنسانية و الاجتماعية ، يعود إلى الإنسان في حد ذاته فهو محور العلوم و الدراسات الاجتماعية ، و هو أكثر الكائنات تعقيدا كفراد أو كعضو في الجماعة ، فالسلوك الإنساني يتأثر بعوامل عدة مزاجية و نفسية لدرجة تترك الباحث الاجتماعي " .^٦
- ٢ - الميولات الشخصية للباحث : يصعب دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية ، بعيدا عن الأهواء و العواطف الشخصية ، فالظواهر الاجتماعية أكثر حساسية من الطبيعية لأنها تهتم بالإنسان ، كعضو فعال و متفاعل في المجتمع . و بما أن الإنسان مخلوق غرضي يعمل على الوصول إلى أهداف معينة ، و يملك القدرة على الإختيار مما يساعد على أن يعدل من سلوكه ، فإن مادة العلوم تتأثر كثيرا بإرادة الإنسان و قرارته و ميولاته . و بالتالي التعاطف مع الآخرين و النفاذ إلى الدوافع التي تحرك سلوكهم . فإن تقدم المعرفة الإنسانية و علاقاتها الاجتماعية ، يتوقف على مدى تطوير تلك العملية المعرفية و تمحيصها . بالإضافة أنه يمكن أن يكون هناك . " فرق في إستخدام المفاهيم في العلوم الاجتماعية و المفاهيم في العلوم الطبيعية ، حيث تتميز المفاهيم الاجتماعية بالمرونة و الغموض ، و عدم الوضوح و تعدد إستعمالها ، فيحين أن المفاهيم في العلوم الطبيعية تكون أكثر دقة و ثبات " .^٧
- ٣ - صعوبة تعميم النتائج : إن المنهج العلمي يمكن تطبيقه في العلوم الإنسانية و الاجتماعية المختلفة ، و لكن الإختلاف يكمن في دقة النتائج ، خاصة و أنه يعود إلى طبيعة المشكلات التي تواجه الباحث في العلوم

- جان بياجيه ، الإتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية ، مجلة العلوم القانونية و الإقتصادية ، العدد ١١، دمشق ١٩٨٦ ، ص ٨٨ °

- أحمد إبراهيم الشلبي ، تدريس الدراسات الاجتماعية بين النظرية و التطبيق ، المركز المصري للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٢٣ ^٦

- شكري حامد نزال ، مناهج الدراسات الاجتماعية و أصول تدريسها ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٠ ^٧

الإجتماعية ، و يتجلى ذلك من خلال صعوبة الوصول إلى قوانين واضحة و ثابتة نظرا لتغير الظاهرة الإجتماعية باستمرار ، كما أن النظريات المتوصل إليها في مجال العلوم الإجتماعية تبقى نسبية و لا تتسم بالدقة و الصرامة العلمية التي تميز العلوم الطبيعية . " إن مجال العلوم الإجتماعية مواضيع بحثها هو الإنسان و نشاطاته ، في كل المجالات و هو ما يثير إشكاليات و صعوبات في مجال البحث نذكر منها :⁸ - الإنسان كائن حي بالغ التعقيد ، و لا يمكن للباحث أن يلتزم بالموضوعية التامة عند دراسة نشاطاته . - من الصعب جدا دراسته مختبرا ، لأنه سيغير مواقفه و ردود أفعاله حالما يشعر أنه تحت الملاحظة في ظروف إصطناعية .

4 - لا يمكن تحقيق أعلى درجات الضبط في العلوم الإجتماعية ، و لا يمكن التوصل إلى قوانين . بالإضافة إلا أن الظاهرة الطبيعية ، تتميز بغياب المكون الشخصي أو الثقافي أو التراثي عنها ، فهي بلا شخصية و لا ثقافة و لا تراث ، كما أنها مجردة من الزمان و المكان ، مثل تجردها من الوعي و الإرادة و الذاكرة ، بالمقابل نجد أن هذه المكونات الشخصية و الثقافية و التراثية أساسية في بناء بنية الظاهرة الإجتماعية ، أضف إلى ذلك تعدد هذه الثقافات و تعدد الشخصيات الإنسانية .

5 - صعوبة إخضاع الظواهر الإجتماعية للمخبر : غن عدم القدرة على إستعمال الطريقة المخبرية في العلوم الإجتماعية ، ناتج أساسا عن صعوبة وضع الظواهر الإجتماعية تحت ظروف قابلة للضغط و الرقابة كما في العلوم الطبيعية ، فالباحث الإجتماعي يجب أن يدرس و يلاحظ الظاهرة قيد البحث في الحياة الإجتماعية ، و أن ينتظر حدوثها ، و لا يمكن وضعها في مختبر ، و هذا لتغير الظواهر الإجتماعية بشكل سريع نسبيا ، و هذا يقلل من فرصة تكرار التجربة في ظروف مماثلة تماما ، بالإضافة " إلى الطبيعة المجردة لبعض المفاهيم الإجتماعية و الإنسانية و عدم الإتفاق على تعريفات محددة لها ، و خضوع بعض المشكلات الإجتماعية لمعايير أخلاقية و صعوبة القياس بشكل دقيق للظواهر الإجتماعية . لعدم وجود أدوات قياس دقيقة أحيانا "⁹

6 - عدم التوصل إلى نتائج قابلة للتعميم : يتميز البحث العلمي بهذه الخاصية و التي تميزه عن غيره من الدراسات ، و حتى يمكن إعتبار دراسة إجتماعية معينة بحثا علميا أكاديميا ، لابد من الوصول إلى نتائج هادفة و قابلة للتعميم ، هذه الخاصية نجدها متوفرة بشكل كبير في العلوم الطبيعية ، بينما توجد بشكل ضعيف في مجال الدراسات الإجتماعية ، نجد " تغليب النزعة الذاتية و الميولات الشخصية على البحوث الإجتماعية و الإنسانية و تتجلى الذاتية من خلال :¹⁰ - قد يؤثر الباحث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية في الظاهرة الإنسانية ، فيغير من طبيعتها و يفهمها فهما خاصا مما يجعل النتائج تختلف من باحث إلى آخر و يجعل إمكانية التعميم متعذرة . - تأثر الباحث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية بالموضوع الذي يدرسه ، لأنه جزء منه و يصعب عليه أن يدرس بحياد و نزاهة و موضوعية و على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول ، بأن الدقة في قوانين العلوم الطبيعية مرجعها إلى صورتها الرياضية ، لأنها تقاس بمقاديرها

- عبد الوهاب المسيري ، الفلسفة المادية و تفكيك الإنسان ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٥^٨

- أحمد عبد الوهاب النجدي و آخرون ، الدراسات الإجتماعية و مواجهة قضايا البيئة ، دار القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٢ ، ص ٧٥^٩

- شكري حامد نزال ، مناهج الدراسات الإجتماعية و أصول تدريسها ، مرجع سابق ، ص ١٥٢^{١٠}

بالكمية ، أما العلوم الإجتماعية يتعذر إخضاع موضوعاتها لهذا الضبط الكمي و يستحيل تصويرها بالمعادلات الرياضية .

• صعوبات البحث العلمي في العلوم الإجتماعية :

لا يزال التوجه العلمي في دراسة العلوم الإجتماعية و تدريسها و تطبيقها ، في الجامعات و المؤسسات البحثية العربية منطلقا من التوجهات العامة و النظريات السائدة في الغرب بصفة عامة ، و التي تستند إلى نظرة إمبريقية و نظرياتها و قبل ذلك بمنهجها و أدواتها البحثية ، إن الدور الذي ينتظر من العلوم الإجتماعية ، أن تؤديه في ظل التحولات الكثيرة و السريعة التي تعرفها البلدان العربية اليوم ، هو إعادة بناء المجتمعات فكريا و ثقافيا و إجتماعيا ، و محاولة فهم التحولات الراهنة في بنيتها و حتى في بنية شخصية الإنسان العربي .

" تضم الإنسانيات مجموع العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان ، أي تلك التي تتصل بالجوانب الفكرية و الفلسفية و الدينية و الإبداعية و الجمالية و اللغوية و الأدبية للإنسان ."¹¹

لذا نحن بحاجة ماسة للإهتمام بالعلوم الإجتماعية ، و القيام ببحوث تكون قادرة على التأثير و التوجيه و إقتراح حلول للمشاكل الفردية و الجماعية ، فلا شك أن العلوم الإجتماعية بما فيها من علم الإجتماع ، علم النفس ، العلوم السياسية ، هي التي تأثر في الأفراد و توجه أخلاقهم و قيمهم الإنسانية و تتحكم و لو بشكل غير مباشر في وتيرة التنمية و التقدم .

لذا يجب مراجعة هذه النظرة الدونية للعلوم الإجتماعية ، على الأقل في الوسط الجامعي و معالجتها بمنطق علمي و موضوعي ، يحدد أسباب غمالتها و المساهمة في حل مشاكل المجتمع ، فهي علوم بإمكانها أن تساهم في فهم بنية المجتمع و حل مشاكله و معالجتها .

ثالثا : إشكالية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية في الوطن العربي

• إشكالية العلوم الإجتماعية في العالم العربي :

إن الدول المتقدمة علميا و تكنولوجيا لم تغفل أبدا دور العلوم الإجتماعية ، و ادركت أهميتها منذ زمن مبكر ، فأنشأت العديد من المؤسسات و مراكز للبحث العلمي ، و دعمتها ماديا و معنويا و منحت لها العديد من التسهيلات و عظمت شأن المفكرين و المبدعين ، لأنها تدرك أن النهضة لا تصنعها الألة و إنما تصنعها الأفكار " إن مشكلة العلوم الإجتماعية في العالم العربي ، ليست سوى جزءا من مشاكل التعليم و الثقافة بشكل عام ."¹²

و هي مشكلة مطروحة بإلحاح في جميع الجامعات العربية عموما ، فقد وجدت دراسة لوضع هذه العلوم في جامعات خليجية مثلا : أن السمة الغالبة على هذا الوضع هي تدني مكانة العلوم الإجتماعية بالقياس إلى العلوم الطبيعية و الرياضية و التقنية ، و من هنا كانت الكليات المتخصصة بهذه العلوم مثل الطب ، و العلوم ، و الهندسة ، و تقنية المعلومات تحظى دائما بالمكانة المرموقة ، و تولى لها الجامعة الإهتمام الكبير .

- أحمد أنور بدر ، المدخل إلى الإنسانيات و العلوم الإجتماعية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ط ٢٠٠٩ ، ص ١٣

- محمد عابد الجابري ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ٢٠١٠ ، ص ٦٩

و حسب ذات الدراسة ، فإن النظرة السائدة في الجامعات الخليجية ، و التي تربط بين دور العلوم الإجتماعية و إشباع متطلبات السوق ، هي نظرة أدت إلى تراجع العلوم الإجتماعية ، و عدم وجود أية إمكانية لتطويرها ، فعلم الإجتماع تحول إلى نوع من الخدمة الإجتماعية ، و يصبح موجه لتخريج إختصاصيين إجتماعيين ، و لن تعود هناك حاجة لدراسة الفلسفة و التاريخ و الأدب و الفن ، لأنه ليست هناك وظائف شاغرة في المجتمع.¹³

إن العالم العربي اليوم بحاجة إلى تفعيل دور العلوم الإجتماعية أكثر من أي وقت مضى ، فالتحولات و التغيرات العميقة و المتزايدة التي أسفرت عن سلسلة من الثورات تؤكد الحاجة لإجراء أبحاث و دراسات عاجلة لفهم الواقع الإجتماعي الجديد ، " إن غاية العلوم الإنسانية و الإجتماعية هي معرفة الإنسان في طبيعته و غرائزه و طموحاته النفسية ، و إستعداداته الذهنية و في علاقاته مع الطبيعة الكونية ، و مع الكائنات الحية و مع البشر في روابطهم العاطفية و الإقتصادية و الثقافية و الجمالية ، و هدف تلك المعرفة بدورها هو تحقيق سعادة الإنسان".¹⁴ فحسب التقرير العالمي للعلوم الإجتماعية المعنون ب: الفجوات المعرفية الصادر في يونيو من عام ٢٠١٠ عن منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (يونسكو) و المجلس الدولي للعلوم الإجتماعية ، أن العالم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى العلوم الإجتماعية للتصدي للتحديات الكبيرة التي تواجه البشرية ، و أشار التقرير الذي يشكل أول إستعراض شامل لمجال العلوم الإجتماعية منذ أكثر من عقد ، و أسهم فيه المئات من علماء الإجتماع من شتى أنحاء العالم ، إلى أن العلوم الإجتماعية لا تسهم بالقدر اللازم في رفع هذه التحديات نتيجة لأوجه التفاوت الهائلة ف القدرات البحثية .

و منه و في ظل التحولات الكبرى التي يعرفها العالم العربي اليوم ، بإمكان للعلوم الإجتماعية المساهمة بشكل فعال في تربية و تكوين الأجيال الجديدة و اللاحقة على قيم التسامح ، التعاون ، الصدق ، التفاني في العمل ، و أن تعزز العلاقات الإجتماعية و حتى الدولية .

لذا أصبحت هذه العلوم ضرورة معرفية و علمية لا يمكن تجاوزها في الوقت الحالي ، لأنها تمكننا من إستشراق مستقبل أفضل .

● مستقبل العلوم الإجتماعية في الوطن العربي

مرت ممارسة العلوم الإجتماعية في الوطن العربي بالعديد من التحولات الرئيسية ، فعلى مستوى المنشآت تزايد عدد المؤسسات الجامعية التي تتوفر على هذه التخصصات ، و إرتفع بذلك عدد المختصين من أساتذة و باحثين و طلبة و واكب ذلك إرتفاع في حجم الإنتاج المعرفي في هذا الميدان العلمي .

حيث نجد أن تخصص علم الإجتماع في وطننا العربي لا زال تعترضه صعوبات عديدة ، من أبرزها تعثر نشر و توزيع البحوث التي يقوم بها الباحثين ، كما نجد محدودية الجهد المبذول من قبل عالم الإجتماع العربي ، الذي لم يتمكن من التنبؤ بالإنتفاضات التي عرفتها العديد من المجتمعات العربية ، كما نجد أن المرجعيات الغربية للعلوم الإجتماعية أعاقت تطور هذه العلوم في الدول العربية ، حيث نجد الجيل الأول من الباحثين العرب و الدارسين الأوائل لعلم الإجتماع و مدى تأثير الغرب على تكوينهم و تشكيل وعيهم بحكم دراساتهم في الجامعات الغربية ، و الذين نقلوا مفاهيم المفكرين الغربيين

- محمد عابد الجابري ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، نفس المرجع ، ص ١١٤

- أحمد عروة ، العلم و الدين ، مناهج و مفاهيم ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٧

الذين عملوا على التأسيس لمجتمعاتهم التي خاضت ثورات صناعية وسياسية ، في كل من فرنسا و إنجلترا ، و حاول المفكرين العرب أن يطبقوا ما درسوه و ما إكتسبوه من نظريات على مجتمعاتهم العربية ، في حين هذه الأخيرة تختلف في تركيباتها الثقافية و السياسية و الإقتصادية عن المجتمعات الغربية مما يصعب تطبيق النظريات الغربية .

فهناك تصور من المستوى العام بتدني قيمة العلوم الإجتماعية ، وكليات الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية في العالم العربي ن فكلية الآداب و العلوم الإجتماعية و الإنسانية هي مأوى للحاصلين على أدنى الدرجات في سلم الثانوية العامة أو في البكالوريا ، و الذين فاتتهم حظوظ التقدم للكليات العلمية مثل الطب ، و الهندسة ، و العلوم ، من مثل هذه النوعية من التخصصات ذات الإحترام و التقدير المجتمعي من ناحية و ذات العلاقة المباشرة و القوية بالإحتياجات الإنسانية المجتمعية و سوق العمل .

كما أن هناك تصورا عاما ، بأن هذه الكليات هي مأوى للإناث اللواتي يرغبن في مجرد الحصول على شهادة جامعية قد تؤمن لهن وظيفة في أي مدرسية حكومية أو خاصة ، أو قد ترفع من قيمتهن في سوق الزواج .

بالإضافة إلى طبيعة المجتمعات العربية ، فهي مجتمعات ريفية و قبلية ، خاصة مع إنتشار الجامعات في هذه المناطق ، مما يفرض نوع من المحافظة على القيم الريفية ، بإختيار الموضوعات التي تبدو فيها الدعاية الأخلاقية أكثر من التحليل العلمي و المنهجي ، فهذه القيم لا تساعد على خلق حالة التمرد بقدر ما تساعد على تكريس قيم الخضوع و الإتهابية .

" لقد إنعكست تلك الأوضاع المزرية على طبيعة المنتج العلمي الخاص بالعلوم الإجتماعية ، فجاء يحمل العديد من السمات المرتبطة بإه تراء الواقع المعاش ، فلم يشكل هذا المنتج في الكثير من الأحيان إضافة حقيقية لفهم الواقع الإجتماعي المعاش بتجلياته و تحولاته المختلفة ، حيث جاء إما إستنساخا كاملا من بحوث سابقة أو تقليدا لمناهج و نظريات غربية ."¹⁵

و منه فإن مستقبل العلوم الإجتماعية في الوطن العربي ، أصبح يطرح العديد من التساؤلات خاصة في ظل ما حملته النصف الثاني من القرن الماضي ، عدة مستجدات دولية كان أبرزها تصاعد موجة العولمة و التحرير الإقتصادي و إنتشار التكتلات الإقتصادية ، هذه الأخيرة التي ظهرت جليا بعد الحرب العالمية الثانية ، فإنتهت معظم دول العالم إلى أهمية التكامل الإقتصادي في بناء إقتصادها ، إذ أصبح من الصعب تحقيق نمو إقتصادي و تطور إجتماعي متسارع في عصر التكنولوجيا المتقدمة و ما تطلبه من إمتلاك للمهارات البشرية و الإهتمام بالأبحاث العلمية في مجال العلوم الإجتماعية .

• إشكالية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية

ينظر الكثير من المختصين في العلوم الإجتماعية ، إلى أن المنهج العلمي للبحث في العلوم الإجتماعية ، على أنه ذلك الطريق المنضبط للبحث عن الحقيقة ، لكن ما يلاحظ تدني الإهتمام بالبحث العلمي في الوطن العربي و من أحد أهم الأسباب المؤدية إلى إنخفاض معدل إنتاجية البحث العلمي في الوطن العربي مقارنة بالواقع العالمي ، يرجع إلى عدم وجود إستراتيجية واضحة للبحث العلمي في العلوم الإجتماعية في الوطن العربي ، و نقص التمويل الذي تنفق نسبة كبيرة منه ، على الأجور و المكافآت و عدم تخصيص ميزانية مستقلة و مشجعة للبحوث العلمية ، كما أن معظم الجامعات في الدول العربية تركز على عملية التدريس أكثر من تركيزها على البحوث العلمية ، كما يتخوف الباحث من ضياع جهوده البحثية بسبب عدم

- صالح سليمان عبد العظيم ، أزمة العلوم الإجتماعية في الوطن العربي ، جريدة الحوار المثمن ، العدد ١٨٠٧ ، ٢٦/٠١/٢٠٠٧^{١٥}

تقدير الجهات المسؤولة الجهد الذي بذله للوصول إلى نتائج البحث واعتمادها على مستشارين أجنبية في إيجاد حلول بديلة..

- مؤسسات البحث و التطوير

تمارس نشاطات البحث و التطوير في البلدان العربية أساسا في مؤسسات التعليم العالي و المراكز البحثية المتخصصة ، و المرتبطة ببعضها البعض أو في مراكز و هيئات البحث العلمي و في وحدات البحث و التطوير ، و يبلغ مجمل هذه المؤسسات و المراكز ٥٨٨ مركز حسب تقديرات سنة ٢٠٠٠ في الدول العربية .

كما نجد أن البحث العلمي في الجامعات العربية بالدراسات العليا ، و الترقية العلمية و يتسم بالطابع الأكاديمي ، " أما المراكز المتخصصة المرتبطة بالجامعات ، فهي تعمل في مجالات الأبحاث الزراعية و الطبية و الهندسية ، و يبلغ عددها ١٢٦ مركزا أما مراكز الأبحاث الوطنية أو المرتبطة ببعض الوزارات أو المؤسسات ، فقد بلغ عددها ٢٧٠ و تخصص أغلبها في مجال الزراعة و المواد المائية و الصحية ، أما المراكز المتخصصة في مجال التقنية الحيوية و الإلكترونيات فلا تتجاوز نسبتها ٣%^{١٦}

كما هو موضح في الجدول التالي : توزيع مصادر تمويل البحث و التطوير في عدد من الدول للفترة ١٩٩٩

الدول	صناديق الوقف و التبرعات	الجهات الخارجية	قطاع الصناعة	الحكومة
اليابان	١١	-	٦٧	٢٢
بريطانيا	١٣	٥	٥٢	٣٠
أمريكا	٤	-	٦٣	٣٣
إسبانيا	٧	١	٣٨	٥٤
تركيا	٣	٣	٢٩	٦٥
الأردن	١	٨	١٢	٧٨
مصر	٢	٨	٤	٨٦
الكويت	/	-	-	٩٣

المصدر : التقرير الإقتصادي العربي الموجب لعام ٢٠٠٠ ، ص ٧٣

١ - خليفي عيسى ، كمال منصوري ، البنية التحتية لإقتصاد المعارف في الوطن العربي ، الواقع و الأفق ، الملتقى الدولي الأول حول تسيير المؤسسات ، جامعة بسكرة ، ١٣/١٢ نوفمبر ٢٠٠٥ ، ص ٤٨١

إن هناك عدة معوقات لا تسمح بالإهتمام بالبحث العلمي في الدول العربية ، من أجل الإنفتاح الإيجابي من مضامين إقتصاد المعرفة و معطياتها ، نتيجة أسباب أهمها :

- عدم توفر البيئة الإجتماعية المناسبة و المشجعة لتوليد التقنيات المتقدمة ، و إستخدامها بكفاءة نظرا لضعف الحوافز الإجتماعية ، و ضعف التقدير و الإعتبار الإجتماعي البيتيحها المجتمع سواء للعاملين في نشاطات البحث العلمي و التطور التكنولوجي أو لمستخدميها.¹⁷

إن وتيرة تطور الدول المتقدمة تزداد باضطراب بسبب التركيز على البحث العلمي بجميع أشكاله، بينما الدول العربية مازالت في بداية البحث العلمي، ومن ثم يزداد اتساع الفجوة التقنية بيننا وبين الدول المتقدمة. ولتخفيف عمق هذه الهوة، وتقليص التبعية الناتجة عن استيراد التكنولوجيا، ينبغي على الدول العربية زيادة سرعة تقدم البحث العلمي بعد توفير مستلزماته من موارد مالية وقوى بشرية للوصول إلى نقل التكنولوجيا وتوطينها في الوطن العربي، إضافة إلى حل مشاكل التنمية على نحو يلانم الواقع واحتياجات المستقبل، وإيجاد البدائل المحلية من مواد خام و طاقة بالاعتماد على الذات.

يحظ موضوع التأسيس المنهجي للبحث الإمبريقي في العلوم الإجتماعية في الجامعات والهيئات المكلفة بالبحث في الوطن العربي بالعناية الكبيرة، على غرار ما حدث على مستوى المؤسسات ومخابر البحث في الدول الغربية. لذلك يواجه الباحث الإجتماعي في جامعاتنا العديد من الصعوبات والمشكلات المنهجية في نشاطه البحثي لاسيما على مستوى البحوث التطبيقية، خاصة في غياب طرق منهجية عامة و سليمة ومتكاملة تتضمن كل الحثيات والتفاصيل المرتبطة بالمنهجية، وتعقد المشكلات وأساليب البحث الإمبريقي التي تختلف باختلاف الظواهر المبحوثة وتغيرها، مما جعل الباحث يقع في الكثير من الاحيان في المفاهيم الخاطئة، والتي أدخلت بطريقة أو بأخرى إلى هذا الحقل المعرفي.

خاتمة

إن تطور العلوم الطبيعية و التجريبية ، ساعد العلوم الإنسانية و الإجتماعية في البحث من أجل تطوير نفسها ، و تكون كيفية حسب خصوصيات كل ظاهرة ، و هكذا تظل الإشكالية المطروحة ليست بالضرورة تشكيك في القيمة العلمية لهذه العلوم ، و إنما يتعلق الأمر بنقاش إستيمولوجي من شأنه أن يغني العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، و يدفع بها إلى توخي الدقة ، لأن جميع العراقيل تتمثل في طبيعة الظاهرة الإنسانية بإعتبارها ظاهرة معقدة ، متغيرة و أن الإنسان يكون هو الدارس و المدرس في الوقت نفسه .

و منه لا يمكن أن يكون للبحوث الإجتماعية قيمة علمية ، إلا إذا أمكن تطبيق و تعميم نتائجها على المجتمع الذي تجري عليه الدراسة ، و لكي تحقق مؤسسات التعليم العالي وظائفها التعليمية و البحثية في مجال العلوم الإجتماعية في القرن الواحد و العشرين في الوطن العربي و تلبيتها بنجاح ، عليها أن تكون قادرة على الإستجابة بفعالية لحاجات البحث العلمي المتغيرة و تكتيفها ، بما يلانم المتغيرات التي طرأت على مجال البحث في مختلف العلوم ، فغنه يتم إجراء الباحثين للدراسات

- فليح حسن خلف ، إقتصاد المعرفة ، عالم الكتب الحديث ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٣٨^{١٧}

الإجتماعية وفقا للمنهج العلمي ، يجب أن يكون لديهم فهم واضح لما يقومون بدراسته ، و كيف يمكن قياس الظاهرة و ملاحظتها ، و ما هي الإجراءات المطلوبة من المقاييس المستخدمة ،وفقا للنظريات التي تتلائم و واقع المجتمعات العربية .

يعتبر البحث العلمي المحرك الأساسي والرئيسي للنظام العالمي الجديد في ظل عدداً من الأحداث المتسارعة والمتلاحقة، ودافعاً أساسياً لتعجيل التنمية الاقتصادية بمفهومها الواسع وتعد ركناً أساسياً من أركان المعرفة الإنسانية. فبدون البحث العلمي لا يمكن التوصل لعلاج مشاكل الإنسانية، ولا ينظر للبحث بأنه رفاهية علمية بقدر ما ينظر اليه كاستثمار ناجح.

فلا يمكن بأي حال إعتبار التقدم العلمي و التكنولوجي ، وحده مقياسا للتطور الحضاري و الرقي الإنساني و لسنا هنا بحاجة لدليل يؤكد ذلك ، فعالمنا اليوم هو عالم تقني و رقمي و إلكتروني بإمتهار ، لكنه عالم قلق ، مشتت ، و حزين و غارق في الحروب و المشاكل النفسية و الإجتماعية .

إن كل تقدم علمي لا يوازيه تقدم إنساني و إجتماعي سيكون وخيم النتائج .

• قائمة المراجع

- ١- أحمد إبراهيم الشلي ، تدريس الدراسات الإجتماعية بين النظرية و التطبيق ، المركز المصري للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨
- ٢- أحمد أنور بدر ، المدخل إلى الانسانيات و العلوم الإجتماعية ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية ، ط٢٠٠٩
- ٣- أحمد عبد الوهاب النجدي و آخرون ، الدراسات الإجتماعية و مواجهة قضايا البيئة ، دار القاهرة ، مصر ٢٠٠٢
- ٤- أحمد عروة ، العلم و الدين ، مناهج و مفاهيم ، دار الفكر ، دمشق ، ط١٩٨٧
- ٥- التل سعيد ، قواعد التدريس الجامعي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ١٩٩٩
- ٦- جازية كيران ، محاضرات في المنهجية لطلاب علم الإجتماع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ٢٠٠٨
- ٧- جان بياجيه ، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الإجتماعية ، مجلة العلوم القانونية و الاقتصادية ، العدد ١ ، دمشق ١٩٨٦
- ٨- خليفي عيسى ، كمال منصور ، البنية التحتية لإقتصاد المعارف في الوطن العربي ، الواقع و الأفق ، الملتقى الدولي الأول حول تسيير المؤسسات ، جامعة بسكرة ، ٢٠٠٩
- ٩- الرئيس محمد نضال ، وجهة نظر حول دور البحث العلمي الجامعي في التنمية ، مجلة التعريب ، الأردن عدد ٣٣ ، ١٩٩٣
- ١٠- شكري حامد نزال ، مناهج الدراسات الإجتماعية و أصول تدريسها ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، ط٢٠٠٧
- ١١- صالح سليمان عبد العظيم ، أزمة العلوم الإجتماعية في الوطن العربي ، جريدة الحوار المتمدن ، العدد ١٨٠ ، ٢٠٠٦
- ١٢- عبد الوهاب المسيري ، الفلسفة المادية و تفكيك الإنسان ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢٠٠٢
- ١٣- فليح حسن خلف ، إقتصاد المعرفة ، عالم الكتب الحديث ، لبنان ، ط٢٠٠٨
- ١٤- محمد عابد الجابري ، إشكاليات الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٢٠٠٠